أبوالحسن الندوي

هنالك نهض في بغداد ـ دار السلام وقلب عالم الاسلام ـ رجل قوى الشخصية ، قوى الايمان ، قوى العلم ، قوى الدعوة ، قوى التأثير ، يجدد دعوة الايمان والإسلام الحقيقى ، والعبودية الخالصة ، وأخلاق المؤمنين المخلصين ، وحرب النفاق الذى اجتمع فى المجتمع الاسلامى بقوة منقطعة النظير فى تاريخ الإصلاح والتجديد ، وفتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه ، يدخل فيه المسلمون ، من كل ناحية من نواحى العالم الاسلامى يجددون العهد والميثاق مع الله ، ويعاهدون على أن لا يشركوا ولا يكفروا ولا يفسقوا ، ولا يبتدعوا ، ولا يظلموا ولا يستحلوا ما حرم الله ، ولا يتركوا ما فرض الله ، ولا يتفانوا فى الدنيا ، ولا يتناسوا الآخرة .

وقد دخل فى هذا الباب ـ وقد منحه الله على يد الشيخ عبد القادر ـ خلق لا يحصيهم الا الله ، وصلحت أحوالهم ، وحسن اسلامهم .

المختار الإسلامى
للطباعة والنشر والتوزيع
ص. ب ١٧٠٧ القاهرة
هاتف ٩٣٦٤٩٦

مطبعة الاعتصام بالقاهرة

المختار الإسلامى

www.abulhasanalinadwi.org

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية
١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤

www.abulhasanalinadwi.org

الحاجة الى الدعوة الشعبية والاصلاح العام

لقد قام حجة الاسلام الغزالى ، بشخصيته الفريدة القوية ، وجهاده العلمى والاصلاحى ، بدور عظيم فى تاريخ الاصلاح والتجديد ، وكان الرجل المطلوب للدفاع عن الاسلام عند هجوم الفلسفة اليونانية ، والحاد الباطنية وانحراف العلماء ، ولكن ظل العالم الاسلامى فى حاجة شديدة الى داع شعبى ، وشخصية روحية رفيعة ، أكثر اتصالا بالشعب وطبقات الجماهير ، ينفخ فى المجتمع بدعوته ومواعظه وبتزكيته للنفوس واصلاحه للأخلاق ، روحا دينية وحياة ايمانية.

وقد كانت الكثرة الكاثرة من المسلمين نريسة العلل الخلقية والاجتماعية ، وقد انتشر فيها التعطل والغفلة والجهالة والنفاق ، ولم تؤثر المناقشات العلمية والفلسفات الملحدة الا فى الطبقة المثقفة الراقية ، وخاصة الخاصة .

وقد ظلت الملكية المطلقة والحكومة الشخصية ، تعملان عملهما فى اخلاق الشعب طيلة أربعة قرون ، وقد وجدت بتأثيرهما طبقة كبيرة لا هم لها فى الحياة الا الحصول على الثروة والترف ، أو نيل الجاه والشرف ، وقد كانت لا تجحد بالله والآخرة كعقيدة ، ولكنها قد نسيت الله بتاتا ، وكانت تعيش فى ذهول عن الآخرة ، وتحيا حياة مترفة لاهية .

وقد انشبت الحضارة العجمية اظفارها فى المجتمع الاسلامى ، وتغلغلت العادات العجمية والتقاليد الجاهلية فى نظام الحياة ، وارتفع مستوى المعيشة فى الحواضر الاسلامية ارتفاعا عظيما ، وتضخمت تكاليف الحياة وضرائب المجتمع — وهو ما يفرضه من لباس ومظاهر وآداب هى اقسى من ضرائب الحكومة — ووجدت أمة من « رجال البلاط » وحاشية الأمراء ، وندماء أبناء الملوك وعباد الأغراض ، ومنتهزى الفرص « النفعيين » .

وقد كانت الطبقة الوسطى على اثر الامراء والأغنياء ، وكان العامة والعملة والفلاحون خاضعين لأخلاق الطبقة الوسطى ، يرون الشرف فى تقلدها والتشبه بها ، وكان الذين يملكون وسائل الحياة والسعة فى المعيشة يستخدمونها فى التمتع بالحياة وارضاء الشهوات . أما الذين حرموها ، فكانوا يقضون حياتهم فى تحسر وتوجع ، ويعتبرون نفوسهم — مهما أوتوا من العلم والنسب والأخلاق الفاضلة — اذل من الدواب والانعام . وكان أصحاب اليسار والأموال لا يعرفون الايثار والعطف على الضعفاء والبر بالفقراء ، والشكر على ما اكرمهم الله به من سعة ورخاء .

أما البؤساء والكادحون ، فكانوا لا يعرفون الصبر والرضا ، والالفة والاباء ، وهكذا فقدت الحياة

www.abulhasanalinadwi.org

اتزانها وهدوءها ، وأصيبت بنوبة عصبية عنيفة ، لا يرى الا من سيطر على أموال عظيمة ، وتسلط على هلكتها واستغلالها للهوى والشباب ، أو الجاه والنفوذ ، والا من يحسد هذه الطبقة ويعيش فى هموم وغموم لا أرجاء لها ، ولا تنتهى الا مع الحياة ، فلا دنيا يلهو بها ويقضى وطره ، ولا دين يلجأ اليه ويعتز به .

كان المجتمع الاسلامى — بكل ما ذكرناه — فى حاجة ملحة الى دعوة دينية ، تخفف غلواء حب الدنيا ، وتحد من شدته وحدته ، وتوقظ فى النفوس الايمان وتثير عقيدة الآخرة ، وتحرك فى القلوب الحب لله والحنين اليه ، وتحث على الطموح وعلو الهمة وبذل الجهد فى الحصول على علم الله الصحيح وعبادته ، ونيل رضوانه والمسابقة فى سبيله ، وتدعو الى التوحيد الكامل ، والدين الخالص ، دعوة صريحة مكشوفة ، وتبين ضعف أهل الدنيا وأصحاب الثروة ورجال الحكومة وفقرهم ، فى قوة ووضوح وثقة واعتداد بالنفس ، وأن الأسباب لا قوة لها ولا تأثير : وأنها مسخرة خاضعة لارادة الله تعالى يتصرف فيها ، ويملكها ويصرفها كيف يشاء .

مؤهلات الداعى العلمية :

يتسم القرن الخامس فى تاريخ الاسلام بسعة فى العلم وتقدم فى الآداب ، وقد نبغ فيه علماء كبار ومؤلفون بارعون . وقد كان من رجال أواخر هذا القرن وأوائل القرن السابع العلامة « أبو اسحق الشيرازى (م ٤٧٦ هـ) و « حجة الاسلام الغزالى » (م ٥٠٥ هـ) وأبو الوفاء « ابن عقيل » (م ٥١٣) و « عبد القادر الجرجانى » (م ٤٧١ هـ) و « أبو زكريا التبريزى » (م ٥٠٢ هـ) « وأبو القاسم الحريرى » (م ٥١٦ هـ) و « جار الله الزمخشرى » (م ٥٣٨ هـ) و « القاضى عياض المالكى » (م ٥٤٤ هـ) الذين ظللوا قرونا مسيطرين على العقول والاتجاهات ، وكانوا مدارس أدبية علمية ، لم يكن لأحد فى هذا العهد الزاخر بالحياة العلمية ونوابغ الفن كالقرن الخامس والسادس ، وفى بلد زاخر بالمدارس وحلقات الدروس كبغداد ، أن يؤثر فى مجتمعه الذى قطع شوطا واسعا فى العلم ، وانتشرت الثقافة فى طبقاته انتشارا كبيرا ، ولم يكن له أن يلفت اليه الأنظار ، وينفذ الى أعماق النفوس والقلوب ، وتخضع له الطبقات المثقفة وحملة لواء العلم فى عصره ، الا اذا كان عالى الكعب طويل الباع فى العلوم السائدة ، متضلعا من علوم الدين والدنيا ، قد أقر له معاصروه بالفضل ، وشهد له علماء بلده بغزارة العلم وسعة المعارف .

وكان يجب أن يكون هذا الداعى صاحب بيان ولسان ، يخاطب العلماء والمثقفين فى أسلوبهم والعامة فى أسلوبها ، وكان يجب أن يكون صاحب نفس زكية ،

www.abulhasanalinadwi.org

وهمـــة قوية مؤثرة ، وعلى جانب عظيم من الزهـــد والقناعة والعزوف عن الشهوات وكبر النفس ، يجد ضعاف الايمان وضعاف النفوس فى مجالسه قـــوة اليقين وحرارة الايمان ، ويجد أهل الشك والارتياب السكينة والاذعان ، ويجد أصـــحاب النفوس القلقة الجريحة المنكسرة الهدوء والعزاء والسلوان ، ويجد هواة الحقائق والمعارف وأصحاب الدراسات العلوم الدقيقة والنكت اللطيفة ، ويجـــد أصـــحاب البطالة والعطلة وأصحاب القلوب الخامدة ما يملؤهم حماسة وايمانا ، وما يحفزهم الى العمل والجهاد ، ويجد عباد اللذات والشهوات والمترفون فى الحياة ، الذين تجرأوا على المعاصي والمحارم ، ما يبعث فيهم الاقلاع والندامة والتوبة والانابة ، وبالجملة ، يجد كل أحد فى مجالسه غناءه ودواءه وغذاءه وشفاءه ويقف كمنارة عالية من الايمان والعلم فى بحر من الظلمات والجاهلية ، يأوى اليها الغرقى ويهتدى بها الحائرون ، ويخلف الأنبياء فى دعاء الخلق الى الله ، ودعوة الناس الى دار السلام، واخراجهم من الظلمات الى النور ، ويخلفون الأنبياء فى تهذيب النفوس وتجديد الصلة بالله تعالى ، والتذكير بالآخـــرة ، وايثارها على الدنيا ، وتجريد التوحيـــد واخلاص الدين لله تعالى ، وذلك كله من أهم مقاصد بعثة الأنبياء ومن أعظم أهدافهم ، ولا يمكن أن يبقى الاسلام كدين ونظام خلقى وأسلوب للحياة ودعـــوة

مؤثرة حتى يكون له دعاة مجددون من هذا الطراز .

لقـد كانت وطأة الحكومة التى كان على رأسـها الملوك المسلمون الذين يتسـمون بالخلفاء شـديدة على المجتمع الاسلامى ، ولقد كان للمسلمين اندفاع قوى الى الجاهلية ، ولقد كانت هذه الأوضاع خطرا كبيرا على الاسلام وعلى « المزاج » الاسلامى ، فكان المجتمع الاسلامى المحاط بهذه الأخطار فى حاجة شديدة الى مصلح دينى ومجدد اسلامى من الطبقة الأولى ، يحارب الجاهلية التى تسربت الى الاسـلام ، فى عاصمتها وفى أوجها ، وينفخ روحا ايمانية جديدة فى هذا العـــالم المنهـــار .

لقـــد وجد هـــذا المصـــلح فى شخص الشـــيخ « عبد القادر الجيلانى » ، الذى ظهر فى بغداد فى أواخر القرن الخامس ، وتسلم الزعامة الدينية ، وعاش نحو قرن فردا فريدا فى الدعـــوة الى الله ، والتف حوله العالم الاسلامى ، وأثر فيه تأثيرا لم يؤثر مثله عالم أو مصلح من مدة طويلة .

دراســـته ونبوغه :

ولد الشيخ عبد القادر سنة ٤٧٠ هـ فى جيلان(١)،

(١) جيلان أو كيلان ويقال أيضا بلاد الديلم ، ولاية من القسم الشـــمالى الغربى من بلاد فارس ، يحدها شمالا ناحيـــة تاليس الروسية ، وجنوبا بغرب سلسلة جبال البرز الفاصلة بينهما وبين أذربيجان وعراق العجم ، وجنوبا بشرق مازندران وشـــمالا بشرق بحر قزوين ، وهى تعد من أجمل ولايات فارس « دائرة المعـــارف للبستانى » .

www.abulhasanalinadwi.org

ينتهى نسبه الى الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما، دخل بغداد سنة ٤٨٨ هـ ، وله ثمانى عشرة سنة ، وهى السنة التى خرج فيها أبو حامد الغزالى من بغداد تاركا لتدريس النظامية ، زاهدا فى الدنيا طالبا للمعرفة واليقين(١) ، وأقبل الى العلم بهمة عالية وجد وحرص، ولم يعقه شغفه بالعبادة والاشتغال بالله عن الاشتغال بالعلم ، ولم يرض بالقناعة فى العلم والاقتصار على القليل الذى لابد منه .

قرأ العلوم السائدة فى عصره على أساتذتها الكبار والمبرزين/فيها وأتقنها ومهر فيها/ ، وحصلت له فيها اليد الطولى . ومن شيوخه أبو الوفاء ابن عقيل ، ومحمد بن الحسن الباقلانى ، وأبو زكريا التبريزى ، وأخذ الطريقة عن الشيخ أبى الخير حماد بن مسلم الدباس(٢)، وأكملها عند القاضى أبى سعيد المخرمى(٣)، وحصلت له الاجازة عنه .

(١) البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٤٩ .

(٢) قال الشعرانى : انتهت اليه رياسة تربية المريدين ، وانتمى اليه معظم مشايخ بغداد وصوفيتهم فى وقته . توفى سنة ٥٢٥ هـ .

(٣) هو المبارك بن على بن الحسين ، قال عنه ابن كثير: سمع الحديث ، وتفقه على مذهب أحمد ، وناظر وأفتى ودرس . كان حسن السيرة ، جميل الطريقة ، سديد الأقضية ، توفى سنة ٥١١ هـ .

الاصلاح والارشاد :

عنى الشيخ عبد القادر — بعدما أتم دراسته العلمية والروحية — بالاصلاح وارشاد الخلق الى الحق ، وجمع بين الرئاسة الدينية والرئاسة العلمية ، وكان أبو سعيد قد بنى مدرسة لطيفة بباب الازج ، ففوضت اليه ، وتكلم مع الناس بلسان الوعظ ، وظهر له صيت ، فضاقت مدرسته بالناس من ازدحامهم على مجلسه ، فجلس للناس عند السور أياما ، ثم وسعت بما أضيف اليها من المنازل والأمكنة التى حولها ، وبذل الأغنياء فى عمارتها أموالهم ، وعمل الفقراء فيها بأنفسهم ، واكتملت المدرسة فى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وصارت منسوبة اليه ، وتصدر بها للتدريس والفتوى والوعظ ، مع الاجتهاد فى العلم والعمل ، وجمع الله قلوب عباده على حبه ، والهج السنتهم بالثناء عليه ، وانتهت اليه رئاسة العلم والتربية والاصلاح والارشاد والدعوة الى الله بالعراق، وقصده الناس من الآفاق ، ورزقه الله من الوجاهة والقبول ما أزرى بوجاهة الملوك والسلاطين ، وهابه الخلفاء والملوك والوزراء فمن دونهم . قال الشيخ « موفق ابن قدامة » صاحب المغنى : « لم أر أحدا يعظم من أجل الدين أكثر منه » . وكان يحضر مجالسه فى بعض الأحيان الخليفة والملوك والوزراء فيجلسون متأدبين خاشعين . أما العلماء والفقهاء فلا يأتى عليهم

www.abulhasanalinadwi.org

حصر ، وقد عد فى بعض مجالسه اربعمائة محبرة(١) .

صفته وأخلاقه :

كان من أخلاقه أن يقف مع جلالة قدره مع الصغير والجارية ، ويجالس الفقراء ، وكان لا يقوم قط لأحد من العظماء وأعيان الدولة ، ولم يلم قط بباب وزير ولا سلطان(٢) ، وكان اذا جاءه خليفة او وزير يدخل الدار ثم يخرج حتى لا يقوم له(٣) ، وقد اتفقت الألسنة وشهادات المعاصرين على حسن خلقه وعلو همته ، وتواضعه لله تعالى ، وسخائه وايثاره لغيره ، قد وصفه أحد رجال عصره « حرادة » وقد عاش طويلا ، وصحب كثيرا من الشيوخ الكبار ، فقال:

« ما رأت عيناى أحسن خلقا ، ولا أوسع صدرا ، ولا أكرم نفسا ، ولا ألطف قلبا ، ولا أحفظ عهدا ووداً من سيدنا الشيخ عبد القادر ، ولقد كان — مع جلالة قدره ، وعلو منزلته ، وسعة علمه — يقف مع الصغير ، ويوقر الكبير ، ويبدأ بالسلام ، ويجالس الضعفاء ، ويتواضع للفقراء ، وما قام لأحد من العظماء

(١) ملخصا من المنتظم ، والبداية ، وذيل طبقات الحنابلة ، والطبقات الكبرى .
(٢) الطبقات الكبرى للشعرانى ص ١٢٧ .
(٣) الطبقات الكبرى للشعرانى ص ١٢٨ .

ولا الأعيان ، ولا ألم بباب وزير ولا سلطان »(١) .

وقال الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالى الاشبيلى :

« كان مجاب الدعوة ، سريع الدمعة ، دائم الذكر ، كثير الفكر رقيق القلب ، دائم البشير ، كريم النفس ، سخى اليد ، غزير العلم ، شريف الاخلاق طيب الاعراف ، مع قدم راسخ فى العبادة والاجتهاد »(٢) .

وقال مفتى العراق ، محى الدين أبو عبد الله محمد بن حامد البغدادى : « كان أبعد الناس عن الفحش ، أقرب الناس الى الحق ، شديد البأس اذا انتهكت محارم الله عز وجل ، لا يغضب لنفسه ، ولا ينتصر لغير ربه » .

كان له غرام باطعام الطعام ، والانفاق على ذوى الحاجة والعاهة ، قال العلامة « النجار » فى تاريخه : قال الجبائى قال الشيخ عبد القادر « فتشت الأعمال كلها ، فما وجدت فيها أفضل من اطعام الطعام ، ولا أشرف من الخلق الحسن . أود لو كانت الدنيا بيدى أطعمتها الجائع » وقال : قال لى « كفى مثقوبة لا تضبط شيئا ، لو جاءنى الف دينار لم تبت عندى »(٣) وقال

(١) قلائد الجواهر .
(٢) قلائد الجواهر ص ٩ .
(٣) قلائد الجواهر ص ١٠ .

www.abulhasanalinadwi.org

صاحب قلائد الجواهر : « كان رضى الله عنه يأمر كل ليلة بمد البساط ، ويأكل مع الاضياف ويجالس الضعفاء ، ويصبر على طلبة العلم ، لا يظن جليسه أن أحدا أكرم عليه منه ، ويتفقد من غاب من أصحابه ويسأل عن شأنهم ، ويحفظ ودهم ، ويعفو عن سيئاتهم، ويصدق من حلف له ، ويخفى علمه فيه »(١) .

احياء القلوب الميتة :

اتفق المؤرخون على كثرة كرامات الشيخ عبد القادر ، قال الشيخ موفق الدين صاحب المغنى : « لم أسمع عن أحد يحكى عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عن الشيخ عبد القادر » وذكر الشيخ عز الدين ابن عبد السلام : « انه لم تتوافر كرامات أحد من المشائخ الا الشيخ عبد القادر ، فان كراماته نقلت بالتواتر »(٢) وكذلك قال شيخ الاسلام ابن تيمية(٣) .

ولكن من أجل كراماته احياء موات(٤) النفوس والقلوب ، وزرع الايمان وخشية الله وحبه فيها ، واشعال مجامر القلوب التى انطفأت من جديد ، فقد أعاد الله به الى قلوب لا يحصيها الا الله حياة وايمانا ،

(١) قلائد الجواهر ص ٩ .
(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب .
(٣) جلاء العينين للالوسى .
(٤) الموات : الأرض الخالية من السكان ، أو التى لا ينتفع بها أحد . وفى الحديث : من أحيى مواتا من الأرض فهو له .

وهبت بمواعظه وتربيته رياح من الايمان عاشت بها قلوب ميتة ، ونشطت بها نفوس خامدة ، وانطلقت فى العالم الاسلامى موجة من الايمان الجديد ، والروحانية القوية ، والأخلاق الفاضلة ، والتقوى . وقد هيأ الله له الزعامة الدينية والروحية فى العالم الاسلامى ، فاختار له بغداد — عاصمة الملكة العباسية وقلب العالم الاسلامى — وجاءته بغداد — وهى من أكبر مدن العالم — تسعى ، وازدحم الناس عليه ازدحاما كبيرا ، قال : « كان يجلس عندى رجلان وثلاثة يسمعون كلامى ، ثم تسامع بى الناس وازدحم على الخلق ، فكنت اجلس فى المصلى بباب الحلبة ، ثم ضاق على الناس ، فاخرجوا الكرسى الى داخل السور بين التنانير ، وكان الناس يجيئون فى الليل على الشمع والمشاعل ، يأخذون لهم مواضع ، ثم ضاق على الناس الموضع ، فحمل الكرسى الى خارج البلد ، وجعل فى المصلى ، وكانوا يجيئون على الخيل والبغال والحمير والجمال ، ويقفون ما دار المجلس كالسور ، وكان يحضر المجلس نحو من سبعين الفا »(١) .

وكان لمجالسه تأثير عظيم ونفع كثير ، قال الشيخ عمر الكيسانى : « لم تكن مجالس سيدنا الشيخ عبد القادر رضى الله عنه تخلو ممن يسلم من اليهود والنصارى ، ولا ممن يتوب من قطاع الطريق ، وقاتلى

(١) قلائد الجواهر ص ١٥ — ١٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

النفس ، وغير ذلك من الفساق ولا ممن يرجع عن معتقد سيء »(٢) وقد كان يشعر بذلك ويحمد الله عليه ، ويفضله على ما كان يهواه من الخلوة بالله ، والانقطاع عن الخلق والاشتغال بالعبادات . قال الجبائى : قال لى سيدنا الشيخ : « أتمنى أن أكون فى الصحارى والبرارى كما كنت فى الأول ، لا أرى الخلق ولا يرونني» ثم قال : « أراد الله عز وجل منى منفعة الخلق ، فانه قد أسلم على يدى أكثر من خمسة آلاف من اليهود والنصارى ، وتاب على يدى من العيارين والمسالحة(٣) أكثر من مائة ألف ، وهذا خير كثير »(٤) .

وكان الشيخ يعتقد — بحق — انه مكلف بذلك مأمور به يقول فى المجلس :

« سبحان من ألقى فى قلبى نصح الخلق ، وجعله أكبر همى ! انى ناصح ولا أريد على ذلك جزاء ، أجرتى قد حصلت لى عند ربى عز وجل ، ما أنا طالب دينا ، ما أنا عبد الدنيا ولا الآخرة ، ولا ما سوى الحق عز وجل ، ما أعبد الا الخالق الواحد الأحد القديم ، فرحى بفلاحكم ، وغمى لهلاككم(٥) » .

(٢) قلائد الجواهر ص ٢٢ .
(٣) المسالح : الجماعة ، أو القوم ذوو السلاح .
(٤) قلائد الجواهر ص ٢٢ .
(٥) الفتح الربانى ، المجلس السادس .

اشتغاله بالعلم ونصرته للسنة :

ولم يمنعه اشتغاله بالوعظ والارشاد وتربية النفوس من الاشتغال بالتدريس ، ونشر العلم ونصر السنة والعقيدة الصحيحة ، ومحاربة البدع ، وقد كان فى العقيدة والفروع متبعا للامام أحمد والمحدثين والسلف ، قال ابن رجب : « كان متمسكا فى مسائل الصفات والقدر ونحوهما بالسنة ، مبالغا فى الرد على من خالفها »(١) .

وقد كان قوى الاشتغال بالتدريس ، عالما متفننا . قالوا : كان يتكلم فى ثلاثة عشر علما ، وكانوا يقرأون عليه فى مدرسته درسا من التفسير ، ودرسا من الحديث ، ودرسا من المذهب ، ودرسا من الخلاف ، وكانوا يقرأون عليه طرفى النهار التفسير وعلوم الحديث ، والمذهب والخلاف ، والأصول ، والنحو . وكان رضى الله عنه يقرأ القرآن بالقراءات بعد الظهر ، وكان يفتى على مذهب الامام الشافعى والامام أحمد بن حنبل رضى الله عنهما ، وكانت فتواه تعرض على العلماء بالعراق ، فتعجبهم أشد الاعجاب(٢) ، رفع اليه سؤال فى رجل حلف بالطلاق الثلاث انه لابد أن يعبد الله عز وجل عبادة ينفرد بها دون جميع الناس

(١) طبقات الحنابلة .
(٢) الطبقات الكبرى للشعرانى ص ١٢٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

فى وقت تلبسه بها ، فماذا يفعل من العبادات ؟ فأجاب على الفور : « يأتى مكة ، ويخلى له المطاف ، ويطوف سبعا وحده ، وينحل يمينه » فأعجب علماء العراق ، وكانوا قد عجزوا عن الجواب عنها (٤) .

الاستقامة والتحقيق :

وقد اتجه التصوف فى القرن الخامس اتجاها فيه الاستقلال الذى قد ينتهى الى الانفصال عن الشريعة ، وأصبح — أو كاد يصبح — مؤسسة أو مدرسة قائمة بنفسها ، لا تتصل بالشريعة الا اتصالا شكليا . وشاعت شطحات الصوفية ، ودعاوى الوصول الى الحقيقة والنهاية التى تسقط فيها الفرائض والتكاليف الشرعية ، وظهرت نزعة « وحدة الوجود » ، وبدأت الفوضى فى بعض زوايا الصوفية ، فكان الشيخ عبد القادر من أكبر المعارضين لهذا الاتجاه الثائر ، ومن أكبر الدعاة الى اخضاع « الطريقة » للشريعة ، والتمسك بالكتاب والسنة وتحكيمهما فى جميع الأحوال والأقوال والاعمال . وقد استطاع بقوة شخصيته وباخلاصه وعلمه القوى ، أن يمنع هذا الاتجاه الخطير ، ويرجع بالتصوف الى ما كان عليه فى العصر الأول . قال الشعرانى : « كانت طريقته

(٣) يعنى سبعة أشواط .
(٤) الطبقات الكبرى ص ١٢٧ .

التوحيد وصفا وحكما وحالا ، وتحقيقه الشرع ظاهرا وباطنا » وكان رضى الله عنه يقول لأصحابه : « اتبعوا ولا تبتدعوا ، وأطيعوا ولا تخالفوا ! »(١) ومن قوله رحمه الله : « ان انخرم فيك شىء من الحدود فاعلم انك مفتون ، قد لعب بك الشيطان ، فارجع الى حكم الشرع والزمه ، ودع عنك الهوى ، لأن كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهى باطلة(٢) » ويقول حاثا على التمسك بالكتاب والسنة والتزام اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم :

« كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهى زندقة ، طر الى الحق عز وجل بجناحى الكتاب والسنة ، أدخل عليه ويدك فى يد الرسول صلى الله عليه وسلم ! اجعله وزيرك ومعلمك ! دع يده تزينك وتمشطك وتعرضك عليه ! »(٣) .

ويقول منكرا على من يعتقد ان التكاليف الشرعية تسقط عن السالك فى حال من الأحوال : « ترك العبادات المفروضات زندقة وارتكاب المحظورات معصية ، لا تسقط الفرائض عن أحد فى حال من الأحوال »(٤) .

(١) الطبقات الكبرى ص ١٢٩ .
(٢) أيضا ص ١٣١ .
(٣) الفتح الربانى المجلس الرابع والأربعون .
(٤) الفتح الربانى المجلس الحادى عشر .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد كان جبلا راسيا فى الاستقامة على الشريعة ، وقد وصل بكمال اتباعه وعلمه الراسخ ، وتأييد الله سبحانه وتعالى ، حيث صار يميز بين الحق والباطل ، والنور والظلمة ، والموارد الالهية والطوارق الشيطانية . وقد كان اشد الناس ايمانا — كما قدمنا — بأن الاحكام الشرعية لا تتبدل ، ولا ناسخ لها بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وان من ادعى نسخها او تعطيلها فقد كفر وكان مطية الشيطان ، وقد عرضت له محن ثبت فيها ، لعلمه الراسخ وبصيرته النافذة ، يقول :

تراءى لى نور عظيم ملأ الأفق ، ثم تجلى فيه صورة تنادينى : يا عبد القادر ! انا ربك ! وقد حللت لك المحرمات ، فقلت : اخسأ يا لعين ! فاذا ذلك النور ظلام ، وتلك الصورة دخان ، ثم خاطبنى : ياعبد القادر! نجوت منى بعلمك بأمر ربك وفقهك فى أحوال منازلاتك، ولقد اضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق، فقلت لله الفضل ، فقيل له : كيف علمت انه شيطان ؟ قال : بقوله قد حللت لك المحرمات »(١) .

التفويض والتوحيد : كانت قدمه رحمه الله على التفويض والموافقة مع التبرى من الحول والقوة . كان

(١) الطبقات الكبرى ص ١٢٧ .

الشيخ عدى بن مسافر(١) يقول : « كان الشيخ عبد القادر رضى الله عنه طريقته الذبول ، تحت مجارى الاقدار بموافقة القلب والروح » .

وقد جاهد فى ذلك نفسه مجاهدة شديدة ، يقول فى مقالة : « جاهدت نفسى فى ترك الاختيار والارادة ، حتى حصل لى ذلك ، فصار القدر يقودنى ، والمنة تنصرنى ، والفعل يحركنى ، والغيرة تعصمنى ، والارادة تطيعنى ، والسابقة تقدمنى ، والله عز وجل يرفعنى »(٢) .

وقد تجلى هذا الذوق وهذا الاتجاه فى كلامه واضحا قويا ، وقد وصف رجلا تجرد عن ارادته واختياره ، واستسلم للقضاء وارادة الله سبحانه وتعالى ، — وانما يعنى نفسه — يقول رحمه الله « اذا ابتلى العبد ببلية تحرك أولا فى نفسه بنفسه ، فان لم يتخلص منها ، استعان بغيره من الخلق : كالسلاطين ، وأرباب المناصب ، وأبناء الدنيا ، وأصحاب الأموال ، وأهل الطب فى الأمراض والاوجاع، فان لم يجد فى ذلك خلاصه ، رجع حينئذ الى ربه بالدعاء والتضرع والثناء ، فما دام يجد عند نفسه نصرة لم يرجع الى الخلق ، ثم ما دام يجد عند الخلق نصرة لم يرجع الى الخالق ، ثم اذا لم يجد عند الخالق نصرة ،

(١) الطبقات الكبرى ص ١٢٧ .
(٢) الفتح الربانى المجلس الثالث والاربعون .

www.abulhasanalinadwi.org

استطرح بين يديه مديما للسؤال والدعاء والتضرع والثناء ، والافتقار مع الخوف منه والرجاء ، ثم يعجزه الخالق عز وجل عن الدعاء ولم يجبه ، حتى ينقطع عن جميع الأسباب ، فحينئذ ينفذ فيه القدر ، ويفعل الفعل ، فيفنى العبد عن جميع الأسباب والحركات ، فيبقى روحا فقط ، فلا يرى الا فعل الحق عز وجل ، فيصير موقنا موحدا ضرورة ، ويقطع أن لا فاعل على الحقيقة الا الله ، ولا محرك ولا مسكن الا الله ، ولا خير ولا شر ، ولا ضر ولا نفع ، ولا عطاء ولا منع ، ولا فتح ولا غلق ، ولا موت ولا حياة ، ولا عز ولا ذل ، ولا غنى ولا فقر الا بيد الله ، فيصير حينئذ كالطفل الرضيع فى يد الظئر ، والميت الغسيل فى يد الغاسل ، والكرة فى صولجان الفارس ، يقلب ويغير ويبدل ويكون ، ولا حراك به فى نفسه ولا فى غيره ، هو غائب عن نفسه فى فعل مولاه ، فلا يرى غير مولاه وفعله ولا يرى سواه ، ولا يسمع ولا يعقل من غيره ، ان ابصر فلصنعه أبصر ، وان سمع وعلم فلكلامه سمع ، ولعلمه علم ، وبنعمته تنعم ، وبقربه سعد ، وبتقربه تزين وتشرف ، وبوعده طاب وسكن ، وبه اطمأن وبحديثه انس ، وعن غيره استوحش ونفر ، والى ذكره التجأ وركن ، وبه عز وجل وثق ، وعليه توكل ، وبنور معرفته اهتدى وتقمص ، وتسربل »(١) .

(١) فتوح الغيب المقالة الثالثة .

ويقول فى مقالة أخرى :

« العبد اذا عرف الله عز وجل سقط الخلق من قلبه ، وتناثروا عنه كما يتناثر الورق اليابس من الشجر ، فيبقى بلا خلق فى الجملة . يعمى عن رؤيتهم، ويصم عن سماع كلامهم من حيث قلبه وسره »(١) .

شفقته على الخلق : وقد كان ـ رحمه الله عليه ـ عطوفا ، شفيقا ، رفيقا بالأمة المحمدية وعامة الناس ، دائم الدعوة والدعاء لهم ، يرق قلبه ، ويرثى لضعفائهم والمشتغلين بما لا ينفعهم فى الآخرة ، ناصحا لكل طبقة ، محبا للخير لها ، يحرص على اسعادها واخراجها من الظلمات الى النور ، يقول مخاطبا لمستمعيه :

« يا خلق الله ! انى اطلب صلاحكم ومنفعتكم فى الجملة ، اتمنى غلق ابواب النار وعدمها بالكلية ، وان لا يدخلها أحد من خلق الله عز وجل ، وفتح ابواب الجنة ، وان لا يمنع من دخولها أحد من خلق الله عز وجل ، وانما تمنيت هذه الأمنية لاطلاعى على رحمة الله عز وجل وشفقته على خلقه ، تعودى لمصالح قلوبكم بتهذيبها ، لا لتغيير الكلام وتهذيبه ، لا تهربوا من خشونة كلامي ، فما ربانى الا الخشن فى دين الله عز وجل ، كلامى خشن ، وطعامى خشن ، فمن هرب

(١) الفتح الربانى ، المجلس السادس والخمسون .

www.abulhasanalinadwi.org

منى ومن أمثالى لا يفلح »(١) .

ويقول فى مناسبة أخرى ، وهو يصف الدعاة الى الله ، والعلماء الربانيين ، ورحمتهم بخلق الله ، وحرصهم على خلاصهم وسعادتهم :

« كيف لا يرحمون العصاة وهم موضع الرحمة ، مقام التوبة والاعتذار ، العارف خلقه من أخلاق الحق عز وجل ، فهو يجتهد فى تخليص العاصى من يد الشيطان والنفس والهوى ، اذا رأى أحدكم ولده أسيرا فى يد كافر ، أليس يجتهد فى تخليصه ، فهكذا العارف ، الخلق جميعهم كالأولاد »(٢) .

ويحكى — رحمه الله — حال من خصه الله بهذه الشفقة العامة والنصح الدائم ويدخل فى سوق ، وانما يصف نفسه الكريمة :

« منهم من اذا دخل السوق ، امتلأ قلبه بالله لأهله ، فتشغل الرحمة لهم عن النظر الى ما لهم بين أيديهم ، فهو من حين دخوله الى حين خروجه فى دعاء واستغفار ، وشفاعة لأهله ، وشفقة ورحمة ، فقلبه محترق عليهم ولهم ، وعينه مغروقة لأجلهم ، ولسانه فى ثناء وحمد لله عز وجل بما أولى الكافة من نعمه وفضله »(٣) .

(١) الفتح الربانى ، المجلس التاسع والأربعون .
(٢) أيضا ، المجلس الثالث والخمسون .
(٣) فتوح الغيب المقالة الثانية والسبعون .

دعوته للاسلام : ان وجود الشيخ عبد القادر الجيلانى فى قوة ايمانه ، وقوة عمله ، وقوة دعوته ، وسمو سيرته واخلاقه ، وزهده فى الدنيا فى عصر المادية عصر الغفلة والانحطاط ، كان دليلا على خلود الاسلام وصلاحيته للبقاء ، وصلاحيته للانتاج ، وعلى أن شجرته لم تنقطع — ولن تنقطع — عن الأثمار والازدهار ، فاذا كان الاسلام دين عقيدة وايمان ، وعمل وجهاد ، ودعوة واصلاح ، — وهو كذلك — فلابد أن يظهر فى مختلف أعصاره وأمصاره رجال عبقريون ، أقوياء فى ايمانهم ، أقوياء فى عملهم ، أقوياء فى دعوتهم ، يمثلون سيرة الأنبياء وخلفائهم بالحق فى عصرهم ، وكان وجوده ، ووجود من تخرج على يديه ، ونشأ فى تربيته — من أهل الصلاح والتقوى ، والصدق والاخلاص ، والزهد والقناعة ، والأخلاق والفضائل — دعوة الى الاسلام ، ودليلا على صدقه وفضله وحياته وتأثيره ، ومقدرته ، على انتاج الربانيين فى كل عصر ، وعلى أن معينه لا ينضب ، لذلك كان سببا لدخول عدد كبير من اليهود والنصارى وغير المسلمين فى الاسلام ، واقبال عدد كبير هائل من المسلمين الى تجديد الايمان ، واصلاح الحال ، والاقلاع عن المعاصى والمحارم ، وحياة الغفلة واللهو .

وفاته :

وظل الشيخ مثابرا على دعوته وجهاده وتربيته

www.abulhasanalinadwi.org

للنفوس ، حتى وافاه الأجل المحتوم سنة ٥٦١ هـ ، وقد جاوز التسعين ، وقد وصف ولده ، شرف الدين عيسى ، مرضه الذى مات فيه ، وكيف فارق الدنيـــا وانتقل الى رحمة ربه ، قال :

« لمـــا مرض مرضه الذى مات فيه قال له ابنه عبد الوهاب : أوصنى يا سيدى بما اعمل به بعدك ! فقـــال :

« عليك بتقوى الله عز وجل ! ولا تخف احـــدا سوى الله ! ولا ترج احدا سوى الله ! وكل الحوائج الى الله عز وجل ! ولا تعتمد الا عليه ! واطلبها جميعا منه ! ولا تثق بأحد غير الله عز وجل ! التوحيد التوحيد جماع الكل » .

وقال : اذا صح القلب مع الله عز وجل لا يخلو منه شيء ، ولا يخرج منه شيء .

وقال : انا لب بلا قشور .

وقال لأولاده : ابعدوا من حولى ، فانى معكم بالظاهر ، ومع غيركم بالباطن .

وقال : قد حضر عندى غيركم فأوسعوا لهم ، وتأدبوا معهم ! ههنا رحمة عظيمة ! ولا تضيقوا عليهم المـــكان .

وكان يقول : « وعليكم الســـلام ورحمـــة الله وبركاته ! غفر الله لى ولكم ! وتاب الله على وعليكم ! بسم الله ! غير مودعين » قال ذلك يوما وليلة .

وقال : « ويلكم ! أنا لا أبالى بشيء ، ولا بملك ، وبملك الموت ، يا ملك الموت ! منـــح لنا من يتولانا سواك » وصاح صيحة عظيمة ، وذلك فى اليوم الذى مات فى عشيته .

وأخبرنى ولده عبد الرزاق ، وموسى ، أنه كان يرفع يديه ويمدهما ويقول : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، توبوا وادخلوا فى الصف ! هو ذا أجيء اليـــكم .

وكان يقول: ارفقوا ! ثم أتاه الحق وسكرة الموت.

وقال — رضى الله عنه وأرضـــاه — : « بينى وبينكم وبين الخلق كلهم بعد ما بين السماء والأرض ، فلا تقيسونى بأحد ، ولا تقيسوا على احدا » ثم سأله ولده ، عبد العزيز ، عن ألمه وحاله ، فقال : لا يسألنى أحد عن شيء ! ها أنا اتقلب فى علم الله عز وجل .

وقد سأله ولده عن مرضه ، فقال له « ان مرضى لا يعلمه أحد ولا يعقله أحد : انسى ، ولا جنى ، ولا ملك وما ينقص علم الله بحـــكم الله ، الحـــكم يتغير والعلم لا يتغير ، الحكم ينسخ والعلم لا ينسخ ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، أخبار الصفات تمر كما جاءت » .

وسأله ولده عبد الجبار : ماذا يؤلمك من جسدك؟ فقال : « جميع أعضائى تؤلمنى الا قلبى ، فما به ألم ؛ وهو صحيح مع الله عز وجل ، ثم أتاه الموت ، فكان

www.abulhasanalinadwi.org

يقـــول :

« استعنت بلا اله الا الله سبحانه وتعالى ! وهو الحى الذى لا يموت ، ولا يخشى الفوت ، سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت ! لا اله الا الله ، محمد رسول الله » . ثم خرجت روحه الكريمة رضى الله عنه وأرضاه(١) .

(١) آخر كتاب « فتوح الغيب » .

الامام عبد القادر الجيلانى
دعوته ، اصلاحه وفضله وفضل خلفائه
فى تجديد الايمان والدعوة الى الاسلام

عصره :

قضى الشيخ عبد القادر الجيلانى ثلاثا وسبعين سنة فى بغداد ، وعاصر خمسة من الخلفاء العباسيين . دخل بغـــداد ، والخليفة المستظهر بأمر الله ، أبو العباس ـــ (م ٥١٢ هـ) ، وجاء بعده المسترشد ، والراشد ، والمقتفى لأمر الله ، والمستنجد بالله .

وكان هذا العصر الذى عاش فيه الشيخ مليئا بالحوادث الجسام ، وكانت بغداد مركزها ؛ وكان الصراع قائما بين الخلفاء والسلاطين من آل سلجوق ، الذين كانوا حريصين على بسط نفوذهم وسيطرتهم على الدولة العباســـية ونيابة الخليفـــة ، برضى من الخليفة وموافقة منه مرة ، وباباء وكراهية منه أخرى ، وقد تقع معركة بين جيش الخليفة وجيش السلطان ، ويتقاتل المســـلمون .

وقع ذلك مرارا فى عهد المسترشد ، وهو أقوى

www.abulhasanalinadwi.org

الخلفاء فى أواخر العصر العباسى وأحسنهم(١) ، وكان هو المنتصر فى أكثر الوقائع ، والتقى جيش الخليفة وجيش السلطان « مسعود » فى عاشر رمضان ٥١٩ هـ، وانهزم الخليفة فى هذه المرة انهزاما شنيعا .

قال ابن كثير : « وانتصر جيش السلطان ، وأسر الخليفة ، ونهبت أموال البغداديين وحواصلهم ، وطار الخبر فى الأقاليم بذلك ، وحين بلغ الخبر الى بغداد ، انجزع الناس لذلك ، وزلزلوا زلزالا شديدا ، صورة ومعنى ، وجاءت العامة الى المنابر فكسروها وامتنعوا من حضور الجماعات ، وخرج النساء فى البلد حاسرات ينحن على الخليفة ، وما جرى عليه من الأسر ، وتأسى بأهل بغداد فى ذلك خلق كثير من أهل البلاد ، ونمت فتنة كبيرة وانتشرت فى الأقاليم ، واستمر الحال على ذلك شهر ذى القعدة ، والشناعة فى الأقاليم منتشرة ، فكتب ملك سنجر الى ابن أخيه يحذره — غب ذلك — عاقبة ما وقع فيه من الأمر العظيم ، ويأمره أن يعيد الخليفة الى مكانه ودار خلافته فامتثل الملك مسعود لذلك ثم ان الخليفة قتله الباطنية فى طريقه الى بغداد » .

(١) قال ابن كثير : كان المسترشد شجاعا مقداما بعيد الهمة فصيحا بليغا عذب الكلام ، حسن الايراد ، مليح الخط ، كثير العبادة ، محببا الى العامة والخاصة ، وهو آخر خليفة رؤى خطيبا ، قتل وعمره خمس وأربعون سنة وثلاثة أشهر ، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وعشرين يوما » (البداية والنهاية آ ج ١٢ ص٢٠٨

شاهد الشيخ عبد القادر هذه الحوادث الأليمة ، ورأى ما أصيب به المسلمون من تشتت وافتراق وتناحر ، وما استولى عليهم من حب الدنيا ، والتقاتل على الملك والجاه والسلطان ، وانصراف الناس الى المادة والمناصب والولايات ، والتفافهم حول الملوك والأمراء وتقديسهم لهم ، عاش الشيخ متصلا بكل ذلك بشعوره وألمه ، بعيدا عن كل ذلك بقالبه وجسمه ، وانصرف بكل همته وقوته واخلاصه الى الوعظ والارشاد ، والدعوة ، والتربية واصلاح نفوس المسلمين وتزكيتها ، ومحاربة النفاق والشغف بالدنيا، والتكالب على حطامها ومناصبها ، واثارة الشعور الايمانى ، وتقوية عقيدة الآخرة ، والتجافى عن دار الغرور ، والانابة الى دار الخلود ، وتهذيب الأخلاق ، والدعوة الى التوحيد والاخلاص لله تعالى .

وقد كانت مواعظه وخطبه مطابقة لعصره وأهل عصره ، تتناول شؤونهم وما هم فيه من علل وأسقام ، تطب قلوبهم ، وتداوى أمراضهم ، وترد على ضلالاتهم وكانت تضرب دائما على الوتر الحساس ، وتمس قلوبهم ، وتجمع هذه المواعظ بين صولة الملوك ورقة الدعاء ، وبين زجر الآباء ورفق الأطباء .

التوحيد الخالص والاستخفاف بغير الله :

كانت بغداد عاصمة الامبراطورية العباسية ،

www.abulhasanalinadwi.org

وقد تعلقت بها قلوب أهل البلاد وقلوب الناس ، الذين يسكنون فى أنحاء المملكة الاسلامية الكبرى ، وأصبح قصر الخليفة وقصور الوزراء مناط الآمال ومحط الرحال ، وتعلق الناس بالأسباب والوسائط — من التدابير والشفاعات والأشخاص — تعلقا شديدا ، يعتقدون فيها النفع والضرر ، وأصبحت الأسباب أربابا من دون الله . وأصبح كثير من الناس يعتقدون أن أمراء الدولة وعمالها يملكون أرزاق الناس وحظوظهم ونفوسهم ، يسعدون ويشقون ، ويعطون ويمنعون . وينصبون ويعزلون ، بأيديهم القضاء والقدر ، والنفع والضرر ، فانصرفت اليهم همم الناس ، وتسابقوا الى ارضائهم والتزلف اليهم . وهكذا نشأت « وثنية » فى عاصمة الاسلام ، أصنامها الامراء والموظفون ، وهياكلها دور الحكومة ، واتجه الناس من عبادة الله وحده والتوكل عليه والسؤال منه ، الى الالتجاء الى الخلق ، والاعتماد عليهم ، واستعطافهم وتملقهم .

وصدع الشيخ بالتوحيد وتحقير الخلق من الملوك والوزراء ، والأمراء والأغنياء ، وبيان ضعفهم وعجزهم ، وانهم لا يملكون لانفسهم شيئا ، ويصور عجزهم وضعفهم تصويرا بليغا دقيقا ، ويضرب لذلك الأمثال . يقول فى حديث :

« اجعل الخليفة أجمع كرجل كتفه سلطان عظيم ملكه ، شديد أمره ، مهولة صولته وسطوته ، ثم جعل

الغل فى رقبته مع رجليه ، ثم صلبه على شجرة الأرز على شاطىء نهر عظيم موجه ، فسيح عرضه ، عميق غوره ، شديد جريه ، ثم جلس السلطان على كرسى عظيم قدره ، عالية سماؤه ، بعيد مرامه ووصوله ، وترك الى جنبه أحمالا من السهام والرماح والنبل وأنواع السلاح والقسى مما لا يبلغ قدرها غيره ، فجعل يرمى الى المصلوب بما شاء من ذلك السلاح ، فهل يحسن لمن رأى ذلك أن يترك النظر الى السلطات ، ويترك الخوف منه والرجاء له ، ويخاف من المصلوب ويرجو منه ؟ أليس من فعل يسمى فى قضية العقل عديم العقل ومجنونا ، بهيمة غير انسان »(١) .

واذا كان هذا شأن الخليفة كلها ، واذا كان هذا عجزها وضعفها وخستها ونذالتها ، فلماذا يستغيث بها انسان ، ويلتجىء اليها فى ملمة أو حاجة ؟

وهنا يحث الشيخ السامعين على الاقبال الى الله وحده ، والالتجاء اليه ، فى أسلوب خطابى قوى بليغ :

« انظر الى من ينظر اليك ! واقبل الى من أقبل عليك ! وأحبب من يحبك ! واستجب من يدعوك اليه ! وأعط يدك من يثبتك من سقطتك ، ويخرجك من ظلمات جهلك ، وينجيك من هلكتك ، ويغسلك من انجاسك ، وينظفك من أوساخك ، ويخلصك من جيفتك ونتنك ،

(١) فتوح الغيب ، المقالة السابعة عشرة .

www.abulhasanalinadwi.org

ومن همتك الردية ، ونفسك الأمارة بالسوء ، واقترانك الضالين المضلين ، شياطينك وهواك واخلائك الجهال ، قطاع طريق الحق عز وجل ، الحائلين بينك وبين كل نفيس وثمين وعزيز ! الى متى العادة ؟ الى متى الخلق ؟ الى متى الهوى ؟ الى متى الرعونة ؟ الى متى الدنيا ؟ الى متى الأخرى ؟ الى متى ما سوى المولى ؟ أين أنت من خالق الأشياء ، المكون للأكوان ؟ الأول ، والآخر ، والظاهر والباطن ، المرجع والمصدر اليه ، وله القلوب ، طمأنينة الأرواح ، ومحط الاثقال ، والعطاء بلا امتنان » (١) .

ويذكر نفاذ القضاء والقدر ، وأن ارادة الله هى الغلابة القاهرة ، المتصرفة فى الخلق ، ويذكر درجات الموحدين ، وطبقاتهم فى التوحيد ، والخضوع للمشيئة الالهية وفعله تعالى :

« الخلق عجزة لا يضرونك ولا ينفعونك ، انما الحق عز وجل يجرى ذلك على أيديهم . فعله يتصرف فيك وفيهم ، جرى القلم فى علم الله عز وجل بما هو لك وعليك . الموحدون الصالحون حجة الله على بقية الخلق ، منهم من يتعرى عن الدنيا من حيث ظاهره وباطنه ، ومنهم من يتعرى عنها من حيث باطنه فحسب لا يرى الحق عز وجل على بواطنهم منها شيئا ، تلك القلوب الصافية ! من قدر على هذا فقد أعطى الملك من

(١) فتوح الغيب ، المقالة الثانية والستون .

الخلق ، هو الشجاع البطل . الشجاع من طهر قلبه مما سوى الله عز وجل ، ووقف على بابه بسيف التوحيد وصمصامته الشرع لا يخلى شيئا من المخلوقات يدخل اليه ، يجمع قلبه بمقلب القلوب . الشرع يهذب الظاهر ، والتوحيد والمعرفة يهذبان الباطن »(١) .

لم يقتصر الشيخ على أوثان الجاهلية وآلهتها ، وعلى عباد الأصنام ومشركى الملل فى عصره ، بل تعدى ذلك الى الالهة الجديدة التى حلت فى النفوس محل الالهة القديمة ، وقامت لها دولة فى قلب بلاد الاسلام ، وهى « المال » و « الثروة » و « القوة » و « السلطان » و « الحيل والحرف » و « الأسباب والوسائل » وحارب هذه الالهة حربا لا هوادة فيها ولا رفق ، يقول فى مجلس :

« أنت معتمد عليك ، وعلى الخلق ، ودنانيرك ودراهمك ، وعلى بيعك وشرائك ، وعلى سلطان بلدك ، كل من اعتمدت عليه فهو الهك ، وكل من خفته ورجوته فهو الهك ، كل من رأيته فى الضر والنفع ، ولم تر أن الحق عز وجل يجرى ذلك على يديه فهو الهك »(٢) .

ويقول فى مقالة أخرى :

« يا موتى القلوب ! يا مشركين بالأسباب ! يا عابدين أصنام حولهم وقواهم ، ومعائشهم ورؤوس

(١) الفتح الربانى ، المجلس الثالث عشر .

(٢) الفتح الربانى ، المجلس العشرون .

www.abulhasanalinadwi.org

أموالهم ، وسلاطين بلادهم وجهاتهم التى ينتمون اليها ! أنهم محجوبون عن الله عز وجل « كل من يرى الضرر والنفع من غير الله عز وجل ، فليس بعبد له ، هو عبد من رأى ذلك منه »(١) .

ويقول فى مقالة أخرى :

« يا معرضا عن الحق عز وجل وعن الصديقين من عبـــاده ، مقبلا عـلى الخلق مشركا بهم ، الى متى اقبـــالك عليهم ؟ ايش ينفعونك ؟ ليس بأيديهم ضرر ولا نفع ، ولا عطاء ، ولا منع ، لا فرق بينهم وبين سائر الجماعات فيما يرجع الى الضر والنفع ، المالك واحد ، الضار واحد ، النافع واحد ، المحرك والمسكن واحد المسلط واحد ، المسخر واحد ، المعطى والمانع واحد ، الخالق والرازق هو الله عز وجل »(٢) .

العالم الربانى ، وداعية الحق ، طبيب يأتيـــه المرضى من كل نوع فيداويهم ويحسسهم فيهم مادة الداء ، ويريهم طريق الشفاء ، ويتوجه بهم الى الله تعالى .

وكان مما يأتيه ويحضر مجالسه ، رجال تعلقت قلوبهم بغير الله ، ثم حيل بينهم وبينه ، فهم فى قلق وحسرة ، ويسليهم الشيخ ويذكر الحـــكمة فى ذلك ، ويشرح غيرة الله سبحانه وتعالى ، وحرصه على أن

(١) الفتح الربانى ، المجلس الثالث والعشرون .
(٢) الفتح الربانى ، المجلس الثالث عشر .

يكون عبده خالصا له ، لا ينازع حبه حب ، ولا يزاحم حقه حق .

« ما أكثر ما تقول : كل من أحبه لا تدوم صحبتى له ، فيحال بيننا ، اما بالغيبة ، أو الموت ، أو العداوة وأنواع الأهوال بالتلف ، والفوات من اليد فيقال لك: أما تعلم يا محبوب الحق ، المعنى به ، المنظور اليه ، المغار له وعليه ، ألم تعلم أن الله غيور ، خلقك له وتريد أن تكون لغيره ؟!

أما سمعت قوله عز وجل : « يحبهم ويحبونه » وقوله : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ؟ .

أما سمعت قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — « اذا أحب الله عبدا ، ابتلاه ، فان صبر ، اقتناه ، قيل يا رسول الله : وما اقتناه ؟ قال لم يذر له مالا ولا ولدا » وذلك : لانه اذا كان له مال وولد أحبهما ، فتشعبت محبته لربه عز وجـــل ، فتنتقص وتتجزأ ، فتصير مشتركة بين الله وبين غيره ، والله تعالى لا يقبل الشريك ، وهو غيور قاهر فوق كل شىء ، غالب لكل شىء ، فيهلك شريكه ويعدمه ، ليخلص قلب عبده له من غير شريك ، فيتحقق حينئذ قوله تعالى : « يحبهم ويحبونه » ، حتى اذا تنظف القلب من الشركاء والانداد من الأهل والمال والولد ، واللذات والشهوات، وطلب الولايات والرياســـات والكرامات والحـــالات ، والمنازل والمقامات ، والجنـات والدرجـات ، والقربات

www.abulhasanalinadwi.org

والزلفات ، فلا يبقى للقلب ارادة ولا أمنية ، كالاناء المنثلم الذى لا يضبط فيه مائع ، فلا يضبط فيه ارادة شىء من الأشياء ، لأنه انكسر بفعل الله عز وجل ، كلما نجمت فيه ارادة كسرها فعل الله عز وجل وغيرته، فضربت حوله حينئذ سرادقات العظمة والجبروت والهيبة ، وحفرت من دونه خنادق الكبرياء والسطوة ، فلم يخلص الى القلب ارادة شىء من الأشياء ، فحينئذ لا يضر القلب الأسباب من الولد والاهل والأصحاب والكرامات ، والحكم والعبادات ، فان جميع ذلك يكون خارج القلب ، فلا يغار الله عز وجل ، بل يكون جميع ذلك كرامة من الله لعبده ، ولطفا به ونعمة ورزقا ومنفعة للواردين اليه(١) .

مكانة الدنيا فى نظر الشيخ :

لم يكن الشيخ عبد القادر من دعاة « الرهبانية » انه لا يرى بأسا بالتمتع المباح بالدنيا وأسبابها ، واستعمال خيراتها وطيباتها ، ولكنه يعارض العكوف على لذاتها وشهواتها بنهم وتقديس ، وتعلق القلب والشغف بها ، انه يؤمن بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الدنيا خلقت لكم ، وانكم خلقتم للآخرة » فيعاملها الانسان معاملة سيد مطاع ، لا عبد مطيع ، ويقول فى بلاغة وايجاز :

(١) فتوح الغيب : المقالة الثانية والثلاثون .

« لا تأكل قسمك من الدنيا وهى قاعدة ، وانت قائم ، بل كلها على باب الملك وانت قاعد ، وهى قائمة ، والطبق على رأسها ، تخدم من هو واقف على باب الحق عز وجل ، وتذل من هو واقف على بابها ، كل منها على قدم الغنى والعز بالحق عز وجل »(١) .

انه لا يعارض أن يملك أحد الدنيا ، انما يعارض أن تملكه الدنيا وتستحوذ على قلبه ، يقول فى مجلس :

« وفى الناس من تكون الدنيا بيده ولا يحبها ، يملكها ولا تملكه ، تحبه ولا يحبها ، تعدو خلفه ولا يعدو خلفها ، يستخدمها ولا تستخدمه ، يفرقها ولا تفرقه ، قد صلح قلبه لله عز وجل ، ولا تقدر الدنيا أن تفسده ، فيتصرف فيها ، ولا تتصرف فيه ، ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم : «نعم المال الصالح للعبد الصالح»(٢) .

انه لا يعارض وجودها فى بيت أو صندوق ، انما يعارض وجودها فى سويداء القلب وأعماق النفس يقول فى محل آخر :

« ويحك ! الدنيا فى اليد يجوز ، فى الجيب يجوز ، ادخارها لسبب وبنية صالحة يجوز . أما فى القلب فلا يجوز ، وقوفها على الباب يجوز ، أما دخولها الى وراء الباب ، فلا ! ولا كرامة لك »(٣) .

(١) الفتح الربانى ، المجلس الواحد والعشرون .
(٢) الفتح الربانى ، المجلس الرابع والثلاثون .
(٣) أيضا ، المجلس الواحد والخمسون .

www.abulhasanalinadwi.org

انه يذم حيـــاة العطلة والبطالة ، وأن يعيش الانسان عيالا على غيره ، متوكلا عليهم ، يقـــول فى مجلس ، حاثا على الاشتغال وكسب الحلال :

« اعبدوا الله عز وجل ، واستعينوا على عبادته بكسب الحلال ! ان الله عز وجل يحب عبـــدا مؤمنا مطيعا ، آكلا من حلاله يحب من يأكل ويعمل ، ويبغض من يأكل ولا يعمل ، يحب من يأكل بكسبه ، ويبغض من يأكل بنفاقه وتوكله على الخلق »(١) .

نقـــده للخلفاء والأمراء فى عصره :

ولم يكن الشيخ يقتصر على وعظ العامة ودعوتهم، انما كان صداعا بالحق صريحا قويا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، يتناول الخليفة والملوك والأمراء بالنقد والملامة ، ويذم ظلمهم ، ولا يحابى فى ذلك أحدا ، ولا تمنعه منه وجاهة أو سلطان .

قال ابن كثير : « كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للخلفاء والوزراء والسلاطين والقضاة والخاصة والعامة ، يصدعهم بذلك على رؤوس الاشهاد ورؤوس المنابر وفى المحـــافل ، وينكر على من يولى الظلمـــة ، ولا تأخذه فى الله لومة لائم » .

ويقول صاحب قلائد الجواهر : « ولمـــا ولى

(١) أيضا ، المجلس السادس والأربعون .

المقتفى لأمر الله أمير المؤمنين للقاضى أبى الوفاء ، يحيى بن سعيد بن يحيى بن المظفر ، المشهور بابن المزحم المظالم ، قال على المنبر « وليت على المسلمين أظلم الظالمين ، ما جوابك غـــدا عند رب العالمين أرحم الراحمين ؟ » فارتعد الخليفة وبكى ، وعزل القاضى المذكور لوقته »(١) .

انكاره على علماء الســـوء :

وكان ينكر على « علماء » البلاط و « العلماء الرسميين » الذين التزموا صحبة الملوك والأمراء ، وأصبحوا ندماءهم ورجال حاشيتهم ، يوافقونهم على كل ما يراه هؤلاء الملوك وينفذونه من أحكام جائرة ، ويخضعون لهم الشريعة ونصوصـــها ، ويؤولون لهم لحكام الشرع ، وقد تجرأ بهم هؤلاء على المعـــاصى والأهواء وتنفيذ الأحكام الجائرة ، وقد كان الشيخ يشنع عليهم ويغلظ لهم القول يقول فى مجلس مخاطبا لهؤلاء العلماء :

« أين أنتم وهم ؟ (يعنى علماء الآخرة) يا خونة فى العلم والعمل ، يا أعداء الله ورسوله ! يا قاطعى عباد الله عز وجل ! أنتم فى ظلم ظاهر ، ونفاق ظاهر ، هذا النفاق الى متى ؟ يا علماء ! يا زهاد ! كم تنافقون

(١) قلائد الجواهر ص ٨ .

www.abulhasanalinadwi.org

الملوك والسلاطين حتى تأخذوا منهم حطام الدنيا وشهواتها ولذاتها ؟ أنتم وأكثر الملوك فى هذا الزمن ظلمة وخونة فى مال الله عز جل فى عباده ، اللهم اكسر شوكة المنافقين وأخذلهم ! أو تب عليهم واقمع الظلمة ، وطهر الأرض منهم أو أصلحهم ، آمين(١) ! .

ويقول مخاطبا لفرد من أفراد هذه الطبقة :

« اما تستحى ! قد حملك حرصك على انك تخدم الظلمة وتأكل الحرام ، الى متى تأكل وتخدم الملوك الذين تخدمهم ؟ يزول ملكهم عن قريب وتتولى خدمة الحق عز وجل الذى لا يزول »(٢) .

والظاهر أنه لا يجرؤ على هذا الكلام الصريح القوى الا الصديقون الذين أخلصت قلوبهم لله تعالى ، وزال عنها الطمع والخوف من غير الله ، وأصبح غير الله — من أصحاب الحول والطول — مخلوقا خسيسا لا قيمة له .

وقد قال فى مجلس له :

« انى أقول لكم الحق ، ولا اخاف منكم ولا أرجوكم ، أنتم وأهل الأرض عندى كالبق وكالذر ، لأنى أرى الضر والنفع من الله عز وجل — لا منكم — المماليك والملوك عندى سواء »(٣) .

(١) الفتح الربانى ، المجلس الواحد والخمسون .
(٢) الفتح الربانى ، المجلس الثانى والخمسون .
(٣) الفتح الربانى ، المجلس الواحد والخمسون .

ذم المنافقين :

ويشنع فى قوة وشجاعة على المنافقين الذين كثروا فى المجتمع الاسلامى ، الذين عكفوا على شهواتهم ، ونبذوا الدين وتكاليفه وراء ظهورهم ، واستغلوا اسم الاسلام والانتساب اليه للتمتع بالحقوق التى يخولها الاسلام من غير قيام بحقوقه ، ومعرفة لفضله ، وخضوع لشريعته . يقول فى مجلس :

« يا منافقون ! حسبتم أن الدين سمر ، أن الأمر سدى ، لا كرامة لكم ولا لشياطينكم ، ولا لقرنائكم السوء ، اللهم تب على وعليهم ! وخلصهم من ذل النفاق ، وقيد الشرك »(١) .

التوجع لدين الله :

كان الشيخ فى بغداد ، عاصمة الدولة العباسية، وقبة الاسلام ، وكان يشاهد ذلك الانحطاط الدينى والخلقى ، الذى ابتلى به المجتمع الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى ، وكانت بغداد مركزه ، وكان يرى تشاغل الناس بأنفسهم ، واشتغال العلماء لمصالحهم ، فكان يحترق قلبه على ذلك بما أوتى من غيرة دينية وحس مرهف ، وحرص على صلاح هذه الأمة ، وشعور

(١) أيضا ، المجلس السادس والأربعون .

www.abulhasanalinadwi.org

بالمسؤولية والأمانة ، فكانت تفيض من لسانه وقلبه كلمات مؤثرة ، هى آية فى الاخلاص والصدق والحمية الدينية ، يقول فى مجلس :

« دين محمد — صلى الله عليه وسلم — تتواقع حيطانه ويتناثر أساسه ، هلموا يا أهل الأرض ، نشيد ما انهدم ، ونقيم ما وقع ! هذا شىء ما يتم ، يا شمس يا قمر ! ويا نهار ! تعالوا »(١) .

ويقول :

« يا قوم ! الاسلام يبكى ، ويستغيث ، يده فى رأسه من هؤلاء الفجار من هؤلاء الفساق ، من هؤلاء اهل البدع والضلال ، من الظلمة ، من اللابسين ثياب الزور ، من المدعين ما ليس فيهم ، انظر الى من تقدمك ، والى من كان معك آمرا ناهيا ، آكلا شاربا ، كأن لم يكونوا ، ما أقسى قلبك ! الكلب ينصح صاحبه فى صيده وزرعه وماشيته وحراسته ، ويبصبص عند رؤيته ، فانما يطعمه عند عشائه لقمة أو لقمات ، او يطعمه شيئا يسيرا ، وأنت تأكل نعم الله ، وتشبع منها ، لا تعطيه منها مطلوبه ، ولا توفيه حقه ، ترد أمره ، ولا تحفظ حدوده »(٢) .

(١) الفتح الربانى ، ٦٤٨ — ٦٤٩ .
(٢) الفتح الربانى ، ص ٦٦١ .

البيعة والتربية :

انتفع أهل بغداد ومن أمها من جهات بعيدة بهذه المواعظ الرقيقة المرققة ، وبهذه الخطب المجلجلة المدوية ، وتغيرت حياة الوف من الناس ، ولكن مجالس الدعوة والوعظ حلقات حرة مؤقتة يؤمها أناس ويحضرونها ، ثم يتغيبون عنها ويهجرونها ، ويداوم عليها كثير من الناس ، ثم يظلون على ما هم عليه من تقاليد وعادات ، وأهواء وشهوات .

اتسع العمران فى الحواضر والمدن ، وشغلت الحياة وحاجاتها النفوس ، فقل من يعتكف فى المدارس وينقطع اليها ليدرس العلوم الدينية ويتوسع فيها ، وهكذا أصبحت هذه المدارس النظامية التى تخضع لقيود وتقاليد كثيرة ، قاصرة عن اصلاح شعبى وتربية عامة ، وبقيت منحصرة فى نطاق ضيق ، لا تفيد ولا تسعف الا العدد القليل الذى يلتحق بها وينتسب اليها ، فلا صلة لها بالشعب ، ولا صلة للشعب بها الا عند الاستفتاء أو ما يشبه ذلك ، وانما تعيش فى عزلة عن الحياة ، وكذلك المؤلفون والمثقفون الكبار ، فالفجوة الثقافية والعقلية بينهم وبين الشعب واسعة عميقة لا يعبرها الا الخاصة والشواذ ، ثم ان صلة الناس بالمدارس والعلماء والمؤلفين صلة علمية عقلية لا تخضع لها القلوب والنفوس ، ولا تنصبغ بها الحياة والأخلاق والطبائع الا فى النادر ، ولا يتقيد بها الناس ،

www.abulhasanalinadwi.org

ولا يرتبطون بها ارتباطا روحيا الا فى النادر .

كان المسلمون فى حاجة الى دعاة ، وشخصيات قوية جامعة ، تجمع بين تلاوة الآيات وتعليم الكتاب والحكمة وتزكية النفوس(١) ، وهكذا تخلف الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى أمته بعد انقطاع النبوة ، وتجدد صلتها بالله والرسول ، وتجدد الميثاق الذى دخلت فيه هذه الأمة والمسلمون جميعا ، عن طريق الايمان والنطق بالشهادتين ، وما عاهدت عليه وبايعت الرسول — صلى الله عليه وسلم — مع بعد الزمان والمكان — من السمع والطاعة ومخالفة النفس والهوى والشيطان ، والتحاكم الى الله والرسول ، والكفر بالطاغوت ، المجاهدة فى سبيل الله ، فقد تغافل عن ذلك الخلفاء ، اقتصروا على الجباية والفتوح واخذوا البيعة لأنفسهم وأولادهم ، وعجز عن ذلك العلماء ، فاشتغلوا بالفتوى والوعظ والتدريس والعلم والتأليف ، ولذا أرادوا ذلك لم يخضع لهم العلمة ، لأنهم لا يرون فيهم — الا النادر القليل — الاخلاص والزهد وأثر الخلافة النبوية . وهكذا ضعف الشعور فى العلمة والسوقة والفلاحين والعملة ، حتى فى كثير من الخاصة والمتعلمين بأن الاسلام عهد وميثاق،

(١) هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين (سورة الجمعة) .

وبيع وشراء بين العبد وربه ، واصبحوا احرارا فى تصرفاتهم ، جامحين عاتين فى شهواتهم ، هملا وقطعانا لا يضبطهم راع ، وضعفت فى كثير منهم الرغبة فى الطاعات وبلوغ درجة الاحسان ، والحصول على نور اليقين وبشاشة الايمان ، وتقاصرت الهمم ، وخمدت النفوس ، وأقبل الناس — الا من عصم ربك — على اللذات والشهوات بنهم وشره .

ضيعت الخلافة الاسلامية — كما وصفنا سالفا — روح الخلافة وأمانة النبوة ، وأصبحت ملكا وسياسة ، وادارة وجباية ، فقام فى نواحى المملكة الاسلامية الواسعة خلفاء الرسول — صلى الله عليه وسلم — والربانيون ، يجدد الناس بدعوتهم وصحبتهم ميثاق الاسلام ، ويدخلون فى السلم فقها وارادة بعد ما دخلوا فى الاسلام وراثة وعادة ، ويستردون بتعليمهم وتربيتهم حلاوة الاسلام ولذة الايمان ، ويخرجون من سلطان الهوى ورق الشهوات وعبادة الناس ، وينشطون فى العبادات والطاعات ، والدعوة الى الله والجهاد فى سبيله .

من أشهر هؤلاء الدعاة والمربين : « الحسن البصرى » و « الفضيل بن عياض » و « معروف الكرخى » و « الجنيد البغدادى » رحمهم الله تعالى :

وانتهى الأمر الى القرن السادس ، وقد تباعد الزمان عن النبوة وآثارها وبركاتها ، واتسعت الدنيا ،

www.abulhasanalinadwi.org

وكثرت أسباب الغفلة واللهو ، وطال على المسلمين الأمد ، فقسمت قلوبهم .

هنالك نهض فى بغداد — دار السلام وقلب عالم الاسلام — رجل قوى الشخصية ، قوى الايمان ، قوى العلم ، قوى الدعوة ، قوى التأثير ، تجدد دعوة الايمان والاسلام الحقيقى ، والعبودية الخالصة ، وأخلاق المؤمنين المخلصين ، وحارب النفاق الذى اجتمع فى المجتمع الاسلامى بقوة منقطعة النظير فى تاريخ الاصلاح والتجديد ، وفتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه ، يدخل فيه المسلمون ، من كل ناحية من نواحى العالم الاسلامى يجددون العهد والميثاق مع الله ، ويعاهدون على أن لا يشركوا ولا يكفروا ولا يفسقوا ، ولا يبتدعوا ، ولا يظلموا لا يستحلوا ما حرم الله ، ولا يتركوا ما فرض الله ، ولا يتفانوا فى الدنيا ، ولا يتناسوا الآخرة .

وقد دخل فى هذا الباب — وقد فتحه الله على يد الشيخ عبد القادر — خلق لا يحصيهم الا الله ، وصلحت أحوالهم ، وحسن اسلامهم ، وظل الشيخ يربيهم ويحاسبهم ، ويشرف عليهم وعلى تقدمهم ، وأصبح هؤلاء التلاميذ الروحيون يشعرون بالمسؤولية بعد البيعة والتوبة وتجديد الايمان على يد عبد مخلص ، وعالم ربانى ، شعورا جديدا ، وظل بينهم وبين الشيخ رباط وثيق عميق ، أقوى من رباط التلاميذ بالأساتذة

والشيوخ ، ومن رباط الجند بالقائد ، ومن رباط الرعية بالراعى ، انما هو رباط روحى دينى ، لا يهن ولا ينحل ، وانما هو ميثاق لا ينقض ولا ينكث ، ثم يجيز الشيخ كثيرا منهم — ممن يرى فيه النبوغ والاستقامة والمقدرة على التربية — فينتشرون فى الآفاق يدعون الخلق الى الله ، ويربون النفوس ، ويحاربون الشرك والبدع ، والجاهلية والنفاق ، فتنتشر الدعوة الدينية ، وتقوم ثكنات الايمان ومدارس الاحسان ، ومرابط الجهاد ، ومجامع الاخوة ، فى أنحاء العالم الاسلامى . وقد استطاع الشيخ عبد القادر أن يستمر فى دعوته وجهاده أكثر من نصف قرن ، فى بيئة اشتد فيها الاستبداد ، وكثرت فيها الوساوس ، وشاعت فيها الوشايات والسعايات ، وأخفقت فيها الدعوات السياسية ، وحورب فيها المعارضون للحكومة بقساوة وشدة ، واحتمل الخلفاء والأمراء نقده الشديد ، وانكاره على تصرفاتهم ومناهج حياتهم ، وما كان ذلك الا لاخلاصه الذى لا يتطرق اليه الشك ، ولا ترتقى اليه شبهة ، وزهده فى كل ما يحرصون عليه ويضنون به ، وبذله النصيحة والشفقة لكل من يدين بالاسلام ، بل يتحلى بالانسانية ، وانقطاعه الى الدعوة الى الله ، والارشاد الى معالم الحق .

رضى الله عنه وأرضاه .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

www.abulhasanalinadwi.org